اساطير السلف

وهي نبذ من عقائد المصريين القدماء

لا نرى اثرًا من آثار المصريين القدماء الاَّ وهو مرتبط بديانتهم وعبادتهم . ولولا شعائرهم الدينيَّة وما اقتضتهُ من بناء الهياكل وحفر المدافن ونحت الاصنام والتماثيل لطمست اخبارهم ولم يبقَ من آثارهم الاَّ كلٌّ طلل بالٍ امَّا وقد اعتقدوا بالمعاد واوجبوا التزلُّف الى المعبود وقامت منهم فئة تدعو الى الخير وتعيش باقامة شعائر الدين وفرائضهِ وتبغي السلطة على ضمائر الناس ردعًا لهم عن الشرور او حفظًا لمقامها بينهم فلم يتعذَّر عليهم ان ينشئوا ما نراهُ من الهياكل والمدافن الَّتي تُعَدُّ حتى الساعة من معجزات الصناعة

والبحث عن اديان الاولين ليس من الهنات الهينات ولا سيما اذا كانت لغتهم مهجورة ورموزهم مجهولة فان البحث في اديان المتأخرين ومعاني كتبهم الدينيَّة ومايريدونهُ برموزهم وشعائرهم عزيز المنال على المتدينين بها انفسهم ولذلك يختلفون وتكثر فيهم المذاهب فما قولك في ديانة نُسخت منذ الف وخمس مئة عام . بل ان اليونان الذين ساكنوا المصريين القدماء وعاشروهم في ايَّام البطالسة ورأوا شعائرهم الدينيَّة مرأى العين لم يفهموا رموزها فطلب بطليموس الثاني الى الكاهن منيثون المصري ان يصفها لهم في كتاب مسهب

الاَّ ان ابناء عصرنا اهتدوا الى قراءة الكتابات المصريَّة القديمة وفهم معانيها اللغويَّة كما قلنا مرارًا وتحقَّقوا من ذلك امورًا كثيرة جاء بعضها منطبقًا على ما ذكرهُ منيثون وفلوطرخس وغيرهما من المؤرخين الاقدمين . ومن هذه الامور اوصاف آلهتهم ونسبة بعضها الى بعض وحكايتهم المشهورة عن اختصام الخير والشرّ المعبَّر عنهُ بقيام تيفون الشرير على اوسيرس البار وقتلهِ ثم ظهور هورس ابن اوسيرس واخذهِ بثأر ابيهِ . ومنها وصف يوم الدينونة ووزن الاموات في ميزان العدل ونحو ذلك ممَّا سنفصلهُ في هذه المقالة

ويكاد الباحثون في اديان الاوائل يتفقون على ان المصريين الاولين كانوا يعتقدون ان للكون الهًا واحدًا ولكنهُ يظهر بمظاهر شتَّى ويسمَّى اسماء مختلفة حسب هذه المظاهر ولذلك تعدَّدت آلهتهم حسب الظاهر واختلفت اسماؤها واوصافها . ومن اشهرها المعبود را او رع او امون را ومعناهُ الهُ الشمس ويقولون انهُ خالق الالهة والناس وكثيرًا ما

يصورونهُ بصورة رجل لهُ رأس نسر او باشق كما ترى في الشكل الاول وعلى رأسهِ قرص مستدير رمزًا الى الشمس وعليهِ الصل المصري وفوق الصل ريشتان كبيرتان . وقد عنوا بكلمة رع او را الشمس نفسها او جوهرها وزعموا انها تحارب التنين وسائر قوى الظلمة مدَّة الليل ثم تشرق في الصباح ظافرة

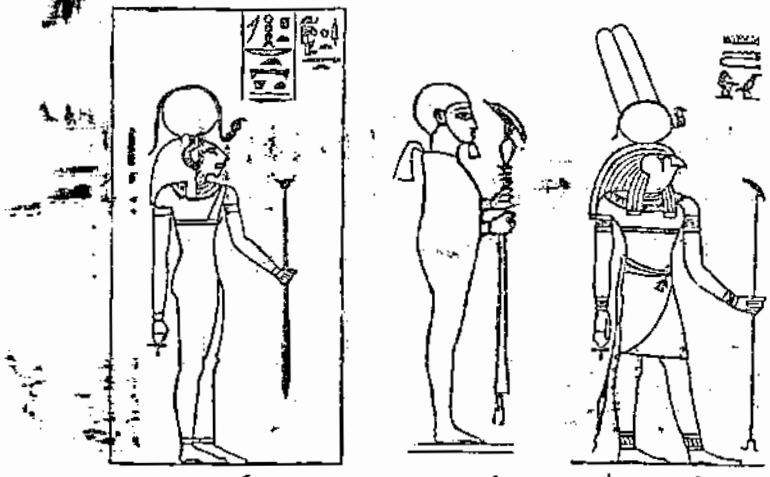

الشكل الاول الشكل الثاني الشكل الثالث

وكانت عبادة هذا الاله محصورة اولاً في مدينة طيبة ثم شاعت في البلاد كلها ونظموا النشائد في مدحهِ والتزلُّف اليهِ ومنها قولهم

" السلام عليك يا آمن را رب العروش في بلاد مصر في رأس هيكل كرنك العظيم موسّع الخطى في رأس بلاد التيمن رب الجلد وبكر الارض مكوّن الكائنات الوحيد في عصرهِ رئيس الآلهة رب الشرائع صانع البشر ومبدع الحيوانات . خالق ما تحت الثرى وما فوق السماء . ملك الجنوب والشمال الشمس الذي كلمتهُ شريعة . رب العالمين جبَّار القوَّة ربّ المخاوف

" السجود لك يا صانع الالهة الذي بسط السماء واسس الارض الرقيب الذي لا يلُ ربُّ الابد صانع الازل . الامير الجميل المشرق بالتاج الابيض رب الاشعة خالق النور . الالهة تبتهل اليهِ وهو يبسط يديهِ لمن يجيبهُ

" السلام عليك يا را رب الشريعة رئيس الآلهة الذي ارسل كلمتهُ فوُجدت . السلام عليك ايها الاله عمو صانع الاموات الذي خلق الناس على اختلاف اشكالهم وفرَّق بين لون رجل وآخر وهو يسمع دعاء المظلوم ويُشفق على من يدعوهُ وينقذ الخائف من يد

القوي ويحكم بين الجبّار والضعيف

"السلام عليك يا ساكن السلام رب السرور المتوّج المحبوب في سماء الجنوب المكرّم في سماء الشمال. كل الامم تعبدك ونقول الحمد لك لانك اقمتَ بيننا والسجود لك لانك خلقتنا انت الاله الذي بسط السماء واسس الارض مكوّن الكائنات وخالق كل الموجودات نسجد لمشيئتك لانك خلقتنا ونحمدك لانك اقمتَ بيننا"

وهذا النشيد طويل جدًّا وكلهُ على هذا النسق من التعظيم والتبجيل كأنهُ قصائد الشعراء في هذا الزمان في مدح الملوك والحكام وقد اجتزينا منهُ بما تقدم. ولو حصر المصريون هذه الاوصاف فيهِ لقلنا انهم ارادوا بهِ الاله الوحيد خالق السماء والارض وانهم موحّدون حقًّا ولكنهم نسبوا هذه الاوصاف ايضًا الى غيرهِ من معبوداتهم كما يفعل الشعراء بممدوحيهم

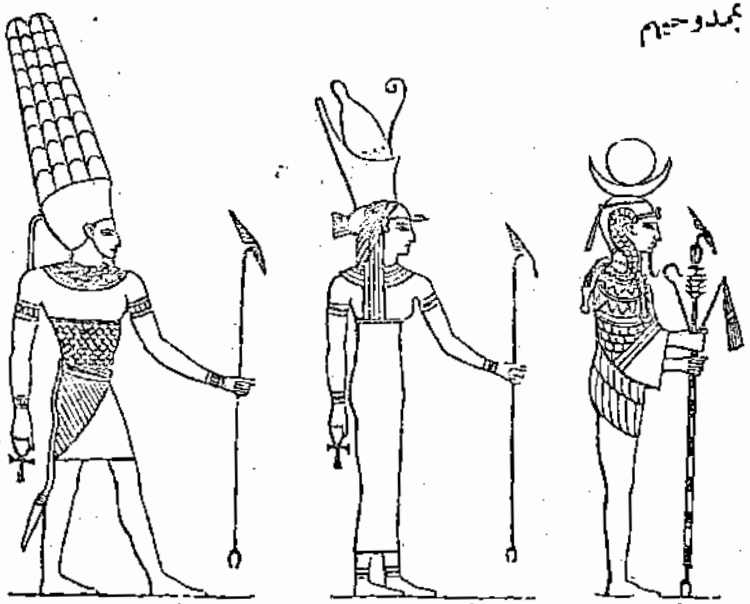

الشكل السادس الشكل الخامس الشكل الرابع

ومن آلهتهم فتاح او الفتّاح وهو اقدم آلهة مصر على ما يظن البعض وكان يعبد في مدينة منف من عهد الدولة الاولى من الدول المصريّة اي منذ اكثر من ستة آلاف سنة ويلقبونهُ ابا الالهة والناس ويقولون ان الآلهة صدرت من عينيهِ والناس من فيهِ ويصورونهُ بصورة رجل مقمط كالاجسام المحنطة كما ترى في الشكل الثاني وقد يصورونهُ بصورة قزم او ولد يتسكع تسكعًا

ومنها الالهة بست او سخت وكانت تعبد في مدينة بوبسطس حيث تل بسطة الآن وكان لها هناك هيكل فخيم. ورأسها رأس هرة او لبوّة كما ترى في الشكل الثالث وتلقّب بالقاب التعظيم والتبجيل مثل غيرها من الآلهة

ومن معبوداتهم المشهورة اوسيرس وايسس وهورس وهي المرسومة في الشكل الرابع والخامس والسادس. وصحة اسم اوسيرس بحسب اللفظ المصري عوسر واسم ايسس عوست واسم هورس حرو. ومن اساطيرهم ان اوسيرس تزوج اختهُ ايسس فاولدها هورس وكان لهُ اخ اسمهُ تيفون او ست واخت اسمها نفتس فتزوج اخوهُ باختهِ. وكاد تيفون لاوسيرس فوضعهُ في صندوق وطرحهُ في النيل ثم عثر عليهِ ثانية وقطّعهُ اربع عشرة قطعة فرّقها في طول الارض وعرضها ونفشت ايسس عن هذه القطع فوجدتها وبنت فوق كلٍّ منها هيكلاً الّا ان اوسيرس صار ملكاً في الاخرة وانتقم ابنهُ من عمهِ تيفون. وقد ذكر فلوطرخس هذه القصة بالاسهاب وقال ما ترجمتهُ "ملك اوسيرس على مصر وسعى في رفع شأن اهلها بتحويلهم عن خطة الهمجيّة الّتي كانوا فيها وعلمهم حراثة الارض وإجادة ثمرها وسنّ لهم شرائع يسيرون بموجبها وعلّمهم عبادة الالهة. ثم ضرب في سائر البلدان يدعو الناس الى طاعتهِ لا بالسلاح بل بالحجة والدليل على اسلوب تطيب لهُ النفس وينشرح بهِ الخاطر بالتسابيح والقراتيل. ولذلك زعم اليونان انهُ هو معبودهم باخس. وفيما هو غائب حاول تيفون ان يغتصب الاحكام فلم يستطع لان ايسس كانت شديدة الغيرة على ملك زوجها فائتمر عليهِ مع اثنين وسبعين رجلاً واشركوا في المؤامرة ملكةً من بلاد الحبشة اسمها اسو اتفق انها كانت في مصر حينئذٍ. وصنع تيفون صندوقاً بديعاً يسع جسم اوسيرس تماماً ثم أولم لهُ وليمة فاخرة عند عودتهِ واحضر الصندوق وقال انهُ يعطيهِ لمن يسع جسمهُ فجعل الحضور وهم المؤتمرون مع تيفون يجربون انفسهم واحداً واحداً الى ان وصل الدور الى اوسيرس فلما دخل الصندوق اوصدوهُ عليهِ وسمروهُ وصبوا عليهِ رصاصاً مصهوراً وطرحوهُ في النيل فجرى فيهِ الى البحر المتوسط (بحر الروم) وكان ذلك في السابع عشر من شهر هاتور والشمس في برج العقرب في السنة الثامنة والعشرين من ملك اوسيرس وقيل بل في السنة الثامنة والعشرين من عمرهِ

واول من درى بذلك الرعاة الذين يسكنون البلاد حول اخميم فاذاعوا الخبر واستولى الرعب والذهول على الناس. ولما بلغ ايسس ذلك جزّت شعرها ولبست الحداد

وسمي البلد الذي كانت فيهِ قفطًا اي نَوْحًا ثم طافت البلاد كلها تفتش عن الصندوق وتسائل عنهُ كل من مرَّت بهِ ولو كان ولدًا فاعلمها بعض الاولاد بما عرفوهُ من امرهِ

ثم جاءها ان الصندوق وصل الى جُبَيْل في بلاد الشام وقذفتهُ الامواج على ساحلها ودخل فخروب شجرة من الطرفاء فنمت حولهُ وحجبتهُ عن الابصار وبلغ حجمها قدرًا كبيرًا جدًّا وعلم بها ملك تلك البلاد فقطعها والصندوق في قلبها ودعم بها بيتهُ. فمضت الى جُبَيْل ونزلت بقرب ينبوع ورأت جواري الملكة هناك فسلمت عليهنَّ وضفرت غدائرهنَّ وطيبتهنَّ بالطيب المنتشر من بدنها وبلغ الملكة ذلك فاستدعتها اليها واقامتها على إرضاع ابنها. وطلبت ايسس العمود المشار اليهِ ثم شقتهُ ونزعت الصندوق منهُ ولفَّت الخشب الباقي بلفائف البوص وصبت عليها زيتًا عطرًا وارجعتها الى الملك والملكة ثم عادت بالصندوق الى مصر

الشكل السابع

ولما بلغت ارضًا قفرًا فتحتهُ وانطرحت على جثة زوجها وأعولت في البكاء. ثم عزمت على زيارة ابنها هورس فاخفت الصندوق في مكان منفرد. وكان تيفون يصيد ذات ليلة فعثر عليهِ وعرفهُ ففتحهُ ومزق الجثة اربع عشرة قطعة وفرقها في البلاد كما تقدم. وبلغ ايسس ذلك فاخذت تفتش عن هذه القطع وحيثما عثرت على قطعة منها دفنتها في محلها

وجاء اوسيرس من الآخرة وظهر لابنهِ هورس وعلمهُ اساليب الحرب والجلاد ثم سألهُ عن امجد عمل يعملهُ الانسان فقال هو ان يأخذ بثأر ابيهِ وامهِ فسرَّ اوسيرس بهذا الجواب ونشبت الحرب بين هورس وعمهِ تيفون فدارت الدائرة على تيفون واخذهُ

هورس اسيرًا وسلمهُ الى امهِ فاطلقت سبيلهُ فغضب هورس عليها وقطع رأسها"

هذه قصة اوسيرس وايسس وهورس بالايجاز وهي من اصول الديانة المصرية ومن عقائدها الجوهريَّة

الآن تلك العقائد لاتقتصر على مثل هذه الاساطير الخرافيَّة بل فيها تعاليم تكشفُ عن حكمة سامية وآداب رائعة كما في سيرة الدينونة وامتحان الارواح قبل الحكم عليها بالثواب او بالعقاب . فانهم كانوا يعتقدون ان الانسان مركَّب من جسد ونفس وعقل فاذا مات وخُنط خرجت نفسهُ من جنبهِ في شكل طائر لهُ رأس انسان وبيدهِ اليمنى علامة التقمُّص وباليسرى علامة الحياة كما ترى في الشكل السابع وذهبت الى الآخرة وأُتي بها امام اوسيرس ديَّان الاموات لتوزن بالميزان كما ترى في الشكل الثامن على الصفحة التالية فان الشخص الكبير الجالس على عرشهِ على يسار الصورة هو المعبود اوسيرس وبيدهِ اليمنى سوط السلطة وباليسرى صولجان الملك وعلى رأسهِ تاج فيهِ ريشتان من ريش النعام علامة الحق وفيهِ قرنان من قرون المعزى علامة الخصب وفي اعلى الصورة اعضاء مجلس القضاء الاثنان والاربعون وقد قعدوا القرفصاء . وهم مختلفو الرؤوس اشارة الى ضروب الحكمة والفطنة والدهاء الَّتي يجب ان يتصف بها القضاة . ونفس الميت جاثية امام كل صف منهم تتبرأ من الذنوب بقولها " لم انهب . ولم اسرق . ولم اقتل . ولم ابخل . ولم اختلس املاك الآلهة . ولم اكذب . ولم احتكر الطعام . ولم اغتصب . ولم اتدنس . ولم أُراءِ . ولم اتفطرس . ولم استرق الاخبار . ولم اثرثر . ولم احابِ . ولم اهيِّج . ولم احلدّ . ولم اصمَّ اذني عن كلام البر . ولم اتسافَه . ولم اخاصم . ولم أُسيء الظن . ولم امنع جريان الماء . ولم اصخب . ولم احتقر الآلهة . ولم اعتسف في القضاء . ولم استعبد المصريين . ولم اتحامل على احدٍ لاجل رفيع . ولم اجوِّع اهلي . ولم أُبكِ احدًا . ولم ازوِّر . ولم اغش الميازين والمكاييل . ولم " اكسر جسور " النيل . ولم اجشع . ولم اسكر . وهلمَّ جرًّا من الآثام واللمم الَّتي تتبرأُ النفس منها . وتحت القضاة ميزان الى يمينهِ امرأتان على رأس كلٍّ منها ريشة نعام علامة الحق واحداها ماسكة بيدها الواحدة علامة الحياة وبالاخرى قضيب الملك وبينها صورة الميت في حال الابتهال . اما الميزان ففي احدى كفتيهِ قارورة فيها قلب الميت وفي الاخرى تمثال الحق والعدل وفوقهُ قرد الدينونة يرقبهُ وبين الكفتين المعبود هورس ورأسهُ رأس باشق والمعبود انوبس ورأسهُ رأس كلب والاول يرقب لسان الميزان والثاني يرقب رجحانهُ ويخبر بهِ وامامها المعبود

توث يكتب نتيجة الوزن في سجل الدينونة . وامامهُ وحش كبير رأسهُ رأس تمساح وبرائنهُ براثن اسد وهو للانتقام من الاشرار

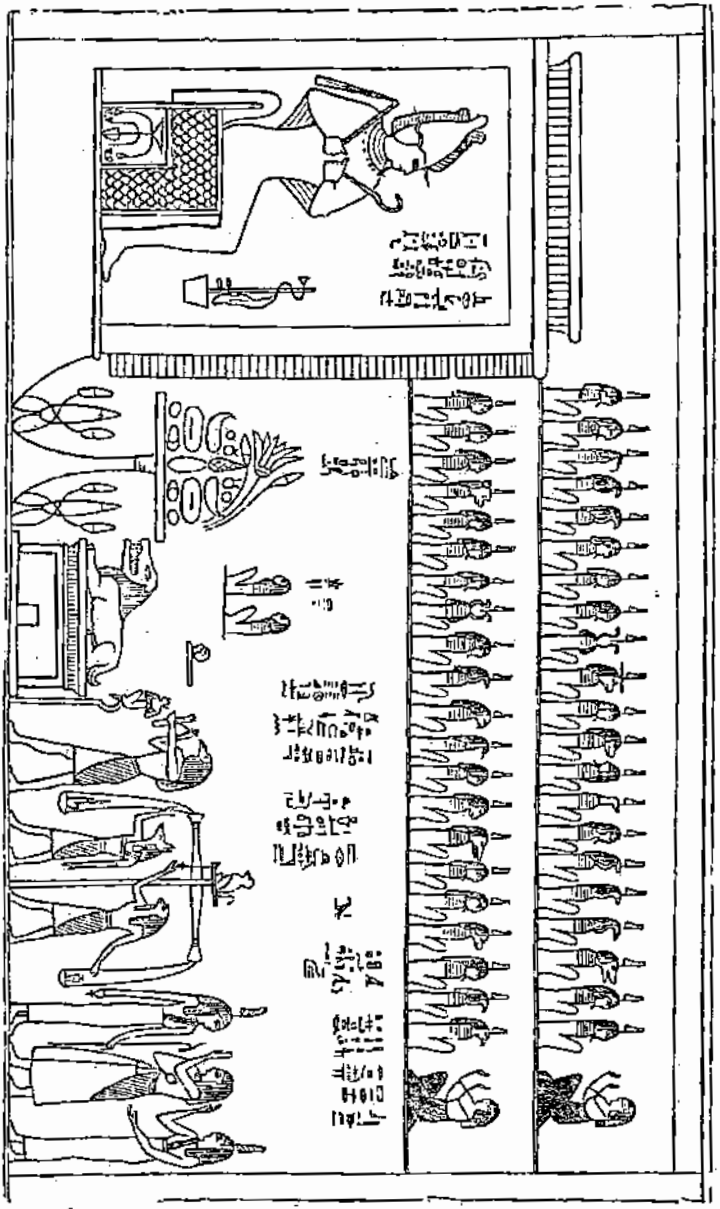

الشكل الثامن

فاذا حوسب الانسان وثبتت براءتهُ وظهرت برارتهُ سواء كان ملكاً او مملوكاً او سيدًا او عبدًا او اميرًا او مأمورًا او ابًا او ابنًا او زوجًا او زوجة أُدخل الفردوس

حيثما يستريح الابرار من متاعب الحياة ويجنون ثمار اعمالهم الصالحة ويغتسلون في نهر الحياة ويكتسب فوقهم هؤلاء وجدوا نعمة في عين الاله العظيم ولذلك يسكنون منازل المجد ويتمتعون بحياة السماء والاجساد التي تركوها تستريح في مدافنها وهم يسرون في حضرة الاله العظيم . واذا حُوسب ووجد ملوماً ردَّت نفسهُ الى الارض وأُدخلت في البهائم التي اشبهتها بافعالها فالجشع يطرد من السماء ويصير خنزيرًا والشرس يصير ذئبًا وهلمَّ جرًّا . واذا تقمَّصت ثلاث دفعات وبقيت فاسدة انقطع رجاؤها وطردت الى دار الظلمة والموت الأبدي وحلَّ بها العذاب الدائم

هذه خلاصة الاساطير الجلى من اساطير الاولين سكان هذه الديار وقد كانت هي وامثالها مرشدًا لهم في تيهِ هذه الحياة ومقوِّمًا لأَوَد الفطرة وباعثًا لهم على التُّقى وطلب المجد وعلى الكد والكدح في الاعمال . واذا قيست الاديان بنتائجها المادية والمعنوية فلديانة المصريين الاولين مقام رفيع بين اديان البشر حتى زعم كثيرون من الباحثين في هذا الزمان انها مبنيَّة على وحي الهي مغروس في فطرة الانسان

مملكة العلم والعلماء

او استئثار العلماء بمناصب الحكومة في بلاد الصين

اخذت الممالك الاوربية تدني العلماء وتقلدهم المناصب السياسيَّة وشاع ذلك في المانيا حتى لا يندر ان ترى الاساتذة والدكاترة بين وزرائها . ويظن البعض ان مستقبل المناصب السياسيَّة كلها للعلماء الذين يرشحون لها في المدارس . فان صَدَقَ هذا الظن فالحكومة تربح والعلم يخسر لانهُ لا يتقدَّم ما لم يُطلَب لذاته . وان لم يتقدَّم بل تأخر او بقي على حالة واحدة تأخرت البلاد كلها ولا يغنيها انتظام الحكومة ولا يرقى بها مراقي النجاح

ومنذ مدة شرطت الحكومة المصريَّة على طالبي مناصبها ان يكونوا قد درسوا في المدارس العالية واجيز لهم . وهو شرط نافع لما لان المتعلم ادرى بادارة الاعمال من غير المتعلم اذا تساوت بينهما بقيَّة الوسائط ولكنهُ قد لا ينفع البلاد بنوع عام لانهُ يغري المتعلمين بخدمة الحكومة والتهافت على مناصبها فتخسرهم بقيَّة المعايش وهي اوسع ولا يقلُّ احتياجها الى المتعلمين عن احتياج الحكومة اليهم

وفي ممالك المشرق مملكة وقفت مناصبها السياسيَّة على اعلم علمائها فانتظمت حكومتها